من نزل اليوم القيمة حين بلغ الامور اواخرها وهى اذا الامور وقد مرت اى امهلت فى جمعها
او تهيئة اسبابها قوله حيث كان واين اقبل فان الذهاب والاتيان يعبر بهما عن الكون والاقبال
يقال اين ما ذهبت واتيت كانت كذا اى اينما كنت واقبلت قوله فالقاهم ذلك اى تحقق ان ما
اظهره موسى ليس بسحر بل هو معجزة الهية الاعتاب الرجوع عما كان عليه من الاساءة اى الاسترضاء
والطاعة والاوتى اى انحرف من فواصل الاية قيل لما القى موسى عصاه فاذا هى اعظم من حبالهم
ثم اخذت تزداد عظما حتى ملأت الوادى ثم صعدت حتى علقت ذنبها بطرف القبة وكانت
ضربت لفرعون قبة يجلس فيها وينظر اليهم وكان طول القبة سبعين ذراعا ثم هبطت فاكلت
كل ما عملوه من الكيد والناس ينظرون اليها لا يحسبون الا انها سحر ثم اقبلت نحو فرعون لتبتلعه
فاتحة فاها ثمانين ذراعا فصاح فرعون لموسى فاخذها فاذا هى عصى كما كانت ونظر السحرة
فاذا هى لم تدع من حبالهم وعصيهم شيئا الا اكلت فعرفوا بذلك انه ليس بسحر وقالوا لو كان سحرا
لبقيت الاشياء واستدلوا بتغير احوال الاجسام على وجود الصانع العالم القادر فان كل عاقل
يعلم بالضرورة انه لا يقدر على ايجاد الحيوان من الجماد وتعظيم جثتها دفعة واحدة ثم تصغيرها وتغييرها
كانت دفعة الا الاله القادر على كل شئ واستدلوا بظهورها على يد موسى على كونه رسولا صادقا
من عنده تعالى فلا جرم تابوا وامنوا واتوا بما هو النهاية فى الخضوع وهو السجود قال صاحب
الكشاف ما اعجب امرهم القوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم القوا رؤسهم بعد ساعة للشكر
والسجود فما اعظم الفرق بين الالقائين ثم ان فرعون لما راى ذلك الاقرار والسجود منهم وخاف
ان يصير ذلك سببا لاقتداء ساير الناس بهم فى الايمان بالله وبرسوله القى فى الحال شبهتين الشبهة
الاولى قوله ءامنتم قبل ان آذن لكم يعنى انكم اعتمدتم فى الايمان به والاتباع له على اول خاطر خطر
ببالكم من غير بحث ومناظرة واستعانة بخاطر الغير فى امره فلم يكن ايمانكم عن بصيرة والشبهة
الثانية انه لكبيركم فى علم السحر فاصطلحتم على ان تظهروا العجز عن معارضته
ترويجا لامره وتعظيما لشانه ثم هددهم صرفا لهم عن الايمان وتنفيرا لغيرهم عن الاقتداء بهم
فقال لاقطعن الاية وبناء التقطيع والتصليب لتكثير المفعول قوله كان القطع ابتداء من محل
العضو العضو فان القطع لما ابتدئ من العضو الذى هو موضع الخلاف صار كانه قد ابتدا من
نفس الخلاف لما بين الخلاف وموضعه من الملابسة قوله بالتخفيف اى بتخفيف عين الفعل على انه
ثلاثى لا بتثقيلها للتكثير قوله شبه تمكن المصلوب بالجذوع جواب عما يقال ان فعل الصلب يتعدى الى
المفعول الثانى بعلى فلم عدى بكلمة فى وتقرير الجواب ان الكلام ههنا من قبيل الاستعارة التبعية
شبه متعلق كلمة على وهو التمكن بطريق الاستعلاء بمتعلق كلمة فى وهو التمكن بطريق الظرفية
الذى هو المشبه به فجرت الاستعارة اولا واصالة فى تمكن الظرفية وتبعيته فى كلمة فى الدالة عليه
قوله لقوله امنتم له يعنى انه يدل على ان المراد من قوله انه لكبيركم موسى عليه السلام لان معنى امنتم له امنتم

امنتم لاجله وبسببه لانكم خفتم على انفسكم ان يعذبكم ان تؤمنوا له قوله وقيل رب موسى اى قيل يريد نفسه
ورب موسى والمعنى وليعلمن ايها السحرة اينا انا على ايمانكم برب موسى او رب موسى على ترككم الايمان به اشد
عذابا معد لكم وادوم فان قيل كيف يغفل من فرعون ان يهدد السحرة ويبالغ فى وعيدهم الى هذا الحد و
يستهزئ بموسى ويقول اينا اشد عذابا مع قرب عهده بمشاهدة انقلاب العصا حية وما ظهر من الاثار
الهائلة حتى انها قصدت ابتلاع قبة فرعون واضطر هو الى الاستغاثة بموسى من شر ذلك الثعبان
فمع قرب عهده بذلك يبعد منه ان يتجاسر لما ذكر من التهدد اجيب بانه يجوز ان يكون فى اشد الخوف فى قلبه
ومع ذلك كان يظهر الجلادة والوقاحة تمشية لناموسه وترويجا لامره قوله لن نختارك اى لن نختار
طاعتك والايمان بك وهذا يدل على ان فرعون طلب منهم الرجوع عن الايمان والا فعل بهم ما اوعدهم
به فاجابوه بما يدل على حصول اليقين التام والبصيرة الكاملة فى اصول الدين فلا يؤثرون رضى
المخلوق المستوجبة معصية الخالق وعقابه الدائم ومضار الدنيا لا الحيد الى قل عن الثبات على ما يؤدى
الى السعادة الاخرة قوله وقرئ تقضى على البناء للمفعول ورفع الحيوة ووجهها ان الحيوة فى القرآن
المشهورة لما انتصب على الظرف اتسع فى الظرف باجرائه مجرى المفعول به كقولك صمت يوم الجمعة
صيم يوم الجمعة لما علم السحرة انهم متى اصروا على الايمان اوقع بهم فرعون ما اوعدهم به فقالوا
اقض ما انت قاض لا على وجه الامر لكن اظهروا ان ذكر الوعيد لا يزيلهم عن الايمان البتة ثم بينوا
ما لاجله يستسهل عليهم احتمال ذلك فقالوا انما تقضى هذه الحيوة الدنيا اى قضاؤك وحكمك انما يكون فى
هذه الحيوة وهى فانية تزول عن قريب ومطلوبنا سعادة الاخرة وهى باقية والعقل يقتضى تحمل الضرر
الفانى للتوصل الى السعادة الباقية قوله وما اكرهتنا عليه من السحر معارضة المعجزة يعنى
انهم وان كانوا سحرة يعملون السحر باختيارهم الا انهم كانوا مكرهين فى الحضور واظهار السحر على
طريق معارضة المعجزة بقوله وابعث فى المداين حاشرين ياتوك بكل سحار عليم فانه يدل على انهم
حضروا وفعلوا بالحشر والاكراه والثانية انهم لما راوا ان العصا تحفظه وهو نائم ثم ابوا ان يعارضوا
وقالوا ما هذا بسحر فحملهم فرعون كرها ان يعارضوه قوله حيوة مهناة اى حيوة تعد نعمة فيهنا
بها قوله قد عمل الصالحات يدل على ان الجزاء الموعود من كان آتيا لكل الصالحات وذلك غير
متعين بالاتفاق ولا ممكن فينبغى ان يحمل ذلك على اداء الواجبات قوله والايات الثلث وهى
قوله انه من يات ربه مجرما الى قوله تزكى يحتمل ان يكون من تمام قول السحرة ختموا كلامهم بشرح
احوال المجرمين واحوال المؤمنين فى عرصة القيمة والهاء فى انه ضمير الشان والجملة الشرطية
خبرها ومجرما حال من فاعل يات وقوله لا يموت يجوز ان يكون حالا من الهاء فى له وان يكون حالا من
جهنم لاشتماله على ضمير كل واحد منهما ثم ان موسى لما بالغ فى دعوة فرعون واراه الايات المتتابعة
التى اظهرها الله على يده فلم يزدد الا عتوا وعنادا اوحى الله اليه ان اسر ببنى اسرائيل ليلا فان السرى
سير الليل والاسراء مثله قوله فاجعل لهم يعنى ان طريقا منصوب على انه مفعول به لقوله فاضرب

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)